العدد (1590) السنة السابعة - الثلاثاء (25) آب 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

انثربولوجيا المواطن والمجتمع والمدينة

قراءة في انهيار المدينة العراقية

علي حسن الفواز ❖

هل يمكن لتجاذبات الواقع الامني والسياسي ان تنتج تجاذبات ثقافية؟ وهل يمكن للاحتلال العسكري ان يخلق عند هامشه احتلالات ثقافية او اقتصادية تعيد انتاج المزيد من الازمات، تلك التي ارتبطت بالمواطن والمجتمع والمدينة؟ وهل يمكن للانتلجنسيا العراقية في الداخل ان تتجاوز عقد الاحتلال والاستبداد وان تصنع خطابا يعبّر عن نزوعها التطهيري تجاه عقد اخرى غائرة، هي اكثر قسوة واكثر رعبا، تلك التي لم تزل راسخة في الذاكرة؟

عقد التهميش والعزل والفقر والتصحر الثقافي، فضلا عن الاحتلالات الداخلية التي مارستها(الحكومات الخاضعة للتوصيف الوطني) بشراهتها الامنية المعقدة ومطارداتها السرية والعلنية وسجونها الغامضة واخيرا حروبها العشوائية ومنافيها القهرية هي اغلب ما كان متمظهرا في الحياة العراقية والتي اسهمت في انتاج مظاهر للعنف الاجتماعي والاحتجاج الاجتماعي، والتي ارتهنت مرجعياتها لشيوع مظاهر التخلف وفقدان قيم العدالة الاجتماعية وشحوب الحياة الاقتصادية التي ظلت عالقة بالكثير من مظاهرالحياة العراقية، وكأن العراقيين محاصرون بأوهام وخرافات قارّة للحرمان من المدينة والجمال والعمران، الى حدّ ان خرافة كانت تسود الكثير من الاوساط الشعبية تقول ان تشييد جسر سابع في بغداد سيجعلها مدينة ملعونة، وثمة فلكي تعرضه الفضائيات العربية يقول ان وجود نصب الحرية للفنان جواد سليم في منطقة الباب الشرقي هو سر المصائب التي تحاصر مدينة بغداد.

هذه الاوهام الطاعنة في الجسد العراقي وضعت المواطن والمجتمع امام سلسلة طويلة من من الاحتلالات الداخلية والعقد وانماط من الحاكميات، تلك التي مارست عليها صدمة(الطاغية المستبد) الذي يضع الناس دائما امام المتحف/ المقدس، وامام فزاعة الخوف والإخصاء، حيث فرضت هذه(الاوهام) القصدية تصوراتها على صيرورة الشخصية العراقية واتهامها بانها شخصية تميل الى العنف والسرية والتناشز، رغم ان بناءها النفسي والطوبوغرافي والمزاجي يرسم صورة اخرى لهذه الشخصية، مثلما افقدتها الكثير من روح الثورة الاخلاقية والسياسية التي كانت سمة من سمات بنائها، ووضعتها امام خرافة القوة والخوف، وخرافة النص الايقوني والشخصنة الايقونية، تلك التي صنعت لها اطارا انثربولوجيا غمرها طوال عقود بالكثير من الاوهام المفرطة، اوهام الاجتهاد المغلق والبنية الاناسية المعقدة والمشوهة، واوهام تقديس الماضي والخوف منه، اوهام الازدواجية، اوهام العلاقة مع السلطة الاجتماعية والدينية والابوية، مثلما عمدت الى انتاج وتقوية كل ماهو قبل الدولة والعمران الثقافي ليكون مصدا امام قبول اية نزعة لوعي التحولات الاجتماعية والثقافية والعلمية.

ولاشك في ان هذه الظواهر النكوصية اسهمت في فرض سياقات مشوهة وغامضة في بناء المواطن وبناء المجتمع وبناء المدينة، اذ ظلت هذه العلاقة الانثربولويجية محكومة بعوامل الابوة والهيمنة والطاعة والتقليد والغيرة والحسد، فالمواطن ظل مسكونا بايديولوجيا العائلة وايديولوجيا المكان الرحمي والطائفة والقومية واللغة والخوف من السلطة، والرهاب من الآخر، والفوبيا من أي خروج او تمرد على السياق. والمجتمع ظل مسكونا هو الآخر بعقد اجتماعية تقوم على هيمنة الوحدات القديمة، العشيرة، السلالة، الطائفة، القومية، الجماعات الديموغرافية المتماثلة في عاداتها ونظم اتصالاتها وتبادل معارفها وعلاقاتها الاجتماعية(القرابة والزواج والطقوس)، وطبعا هذه الوحدات تفتقر بحكم طبيعة نظام معيشها وعلاقاتها ومفهومها للنظام الاجتماعي الى القبول بوعي القيم الفاعلة للعمران البشري والعمران الثقافي وصناعة المؤسسات المدنية والاندماج مع المجتمع المتعدد، تلك التي يمكن ان تعيد انتاج العلاقات الاجتماعية في سياق من التواطن والتشارك وبناء المجتمع الذي يشرعن للدولة، تلك الدولة الجامعة ذات البنى المدنية المؤسسية التي تحمي المجتمع وتدافع عنها، ولتكون سلطة رقابة للمجتمع، ومنها مؤسسات الاعلام المستقل، مؤسسات المجتمع المدني للدفاع عن الحقوق العامة، مؤسسات الثقافة المدنية، بعيدا عن ظاهرة الخوف من السلطة القامعة. ولعل المدينة هي الاكثر تشوها في هذا المجال، اذ افتقدت المدينة العراقية اية لمسة من لمسات الحضارة العمرانية، مدينة تشبه القرية، نظامها الاجتماعي/ القرابي ينعكس على النظام البنائي، اذ البيوت متلاصقة بحميمية خائفة، شوارعها ضيقة جدا، شبابيكها وشناشيلها عالية ومظللة وغير مفتوحة على الفراغ، وكأن هذا التصميم العمراني المتشابه في اغلب البيوت القديمة يعكس هاجسا نفسيا بالخوف والريبة من الخارج، تفتقد مصادر الترفيه والضوء واستغلال الفضاءات المكانية، والذعر من البناء العمودي تحت ايهامات الخوف من الموروثات القديمة الغائرة في اللاوعي الشعبي (اسطورة فرعون وهامان وبرج بابل) والتي صنعت وهما يقوم على لعنة هذا البناء الذي يطول قدسية السماء. لقد اسهم شكل المدينة القديمة في خلق تشوهات اجتماعية، وفرض عادات اجتماعية بالمقابل، اذ ان هذا الشكل البنائي يؤشر تحسسا امنيا من الخارج، مثلما هو يتماهى مع رغبة السلطة القديمة التي كانت تضع المدينة داخل الاسوار بحجة حمايتها اولا، ومنع تأثرها وانفتاحها على أي شكل من اشكال الثقافات الغريبة. لعل اول انتهاك حقيقي للمواطن والمجتمع والمدينة نشأ مع نشوء ظاهرة الانقلابات العسكرية التي لم تؤسس على حاجات وعي الثورات الانسانية، بقدر ما كانت تعبيراً عن هوس بالسلطة والسيطرة. اذ اسهمت هذه الانقلابات في تفكيك نسق العلاقات الاجتماعية داخل المكان، البيت، المقهى، العائلة، الحزب، المعسكر، صنعت حروبا داخلية (التصفيات الايديولوجية، المجازر، الاغتيالات، تدمير التراكم الاجتماعي في شكل الدولة واطرها الادارية والقانونية مقابل ايجاد قوانين ودساتير طارئة)

هذه المعطيات لم تكن الاعلان الاكثر إشهاراً لموت المدينة القديمة الساكنة، بل انها مهدت لخرق اوهامها ووحداتها الراسخة، مقابل صناعة اوهام جديدة اكثر بشاعة، اذ صنعت بطولة المعسكر، وبطولة القائد العسكري، والقائد الايديولوجي، رجل الامن، النموذج الانتهازي، وهذا اسهم ايضا في تفكيك البنية الاخلاقية للمواطن والمجتمع والمدينة،فالمواطن ما قبل الانقلابات هو غيره ما بعد الانقلاب، والمجتمع والمدينة كذلك، اذ انتشرت ظواهر اجتماعية وممارسة لم تكن ظاهرة للعيان مثل الرشاوى والتلصص على الآخرين والسجون السياسية الواسعة والكثيرة، هجرة العوائل الاستقراطية القديمة التي كانت تسيطر على اكثر الوحدات التجارية في المدينة، وهجرة الاطياف التي لاتنتمي الى المراكز الدينية والطائفية التي سيطرت وفرضت خطابها ما بعد الانقلاب، فضلا عن ان ظاهرة الانقلاب اسهمت ايضا في تدمير هوامش المدينة وخاصة الريف وتقاليده وعاداته الزراعية وعلاقاتها بالمكان، اذ ان ما سمي بـ(الثورة الزراعية) او (الانقلاب الزراعي) عمد على تفكيك علاقات انتاجية قائمة، ورغم قسوتها ولا انسانيتها، إلاّ انها كانت مكرسة بفعل عوامل ادارية وتنظيمية اقتصادية واجتماعية وابوية، حيث ادى انهيارها المفاجىء الى تدمير نظام اجتماعي اقتصادي كبير كان يسد الكثير من الحاجات الاقتصادية في العراق، فالعراق كان في الخمسينيات مثلا بلدا مصدرا للقمح، لكن بعد الستينيات وبسبب السياسات الزراعية الشوهاء تحوّل العراق الى بلد مستورد للقمح، فضلا عن ان هذا التفكك انتج ظاهرة تفكك اجتماعي ادى الى نزوح الآف العوائل عن الريف، وبالتالي فقد هذا الريف المنتج وذات المرجعيات الرومانسية الكثير من ملامحه القديمة.

ان هذا النزوج غير المسيطر عليه ادى التى تفكيك الهويات الاجتماعية والثقافية، اذ انه كان يعبّر عن شكل من اشكال الانهيار الاجتماعي/ الاقتصادي، تمثل مجموعاته المهاجرة اطيافا اجتماعية بسيطة محدودة المعارف والتعليم، لاحيازة ثقافية لها سوى آثار سلطة النظام القديمة وعلاقاته الابوية القاسية، وهذه الهجرات خلقت هامشا ضاغطا على المدينة، اعاد انتاج القرية داخل المدينة ذاتها، كما ان السلطة الجديدة اسهمت في تأطير هذه الصورة من خلال صناعة مدن عشوائية او قرى عشوائية تفتقر الى مواصفات العمران المديني والخدمات العامة، مقابل تكريس قيم الديموغرافيا الواحدة والنمط الاجتماعي الواحد، وطبعا هذه المدن العشوائية خضعت الى ضغوطات وممارسات وتشوهات، جعلت منها جسرا لمصالح سياسية وامنية وخدماتية، فاغلب الشعارات السياسية التي كانت تصنعها السلطة كانت تكتسب حيويتها من خلال هذه المدن، وكان حصر سكان هذه المدن داخل سياق جغرافي يسهّل آليات مراقبتهم والسيطرة على حراكهم السياسي والاجتماعي والثقافي، وهو ما حدث بالفعل خلال سنوات السبعينيات والثمانييات، حين خضعت هذه المدن الى حملات مطاردة وتصفية للمعارضين من اصحاب التيارات الاسلامية واليسارية على حدّ سواء، فضلا عن استخدامهم كوقود للحروب العشوائية، اذ ان هذه المدن قد قمت اكثر من ثلثي ضحايا هذه الحروب العبثية. لكن هذه المدن وبحكم ما تحمله من ثقافات سرية اكتسبت نوعا من الممانعة، فهي ظلت رغم كل هذه القسوة من اكثر التحديات التي تواجهها سلطة الانقلاب، الى حدّ انها وسمت الكثير من المدن بطابعها وعلاماتها وشفراتها.

وازاء هذا التراكم عمدت سلطة الانقلاب خلق اطواقاً سكانية خانقة وذات توصيف معين حول المدن، خاصة مدينة بغداد، اذ تحول هذا الطوق الى طوق سياسي طائفي مدمر بمواجهة أي انقلابات مضادة اخرى، وهو الذي حدث في عام ١٩٦٣ وكذلك ما حدث بعد الدخول العسكري الامريكي للعراق عام ٢٠٠٣، اذ تحوّل هذا الطوق الى اداة قهرية للآخرين، افرز انماطا معقدة للصراعات الاثنية والطائفية، وتشظي الهويات الخارجة عن مركز قديم، مثلما اعاد انتاج الكثير من اشكال العلاقات الاجتماعية والسياسية على وفق سياقات اندمج فيها بشكل غير متجانس الوطني والمحلي والقومي.

ان التشويه الذي طال المدينة جرّاء هيمنة الانقلابيين منذ عام ١٩٦٣ حتى عام ٢٠٠٣انعكس ايضا على بنية المدينة وهويتها ثانيا، اذ تحولت مدينة مثل بغداد المعروفة بانفتاحها وحراكها الثقافي الى مدينة مغلقة، نهرها الوحيد والتاريخي تحوّل الى نهر عائد الى السلطة ونظامها الاجتماعي، منعت ضفته اليمنى من ان تكون مجالا للترفيه، مثلما هي مناطق واسعة من ضفته اليسرى، فضلا عن ان السلطة الانقلابية حوّلت المدينة الى بيئة للظاهر التديني وباتجاه معين سبقته طبعا حملة اعلامية واسعة سميت فيما بعد بـ(الحملة الايمانية) تلك التي عملت على تشويه النظام الاجتماعي والثقافي والمعرفي والجمالي واشكاله وممارساته في البيئة الثقافية للمدينة، اذ بنيت في المدينة الآف الجوامع التي تحولت فيما بعد الى بؤر ومدارس لتداول ثقافة الارهاب والعنف، وطبعا هذا البناء لم يكن يوازي ما تقوم به الدولة من بناء مدارس او مسارح او ملاعب لكرة القدم او مكتبات عامة او دور للموسيقى وعروض الازياء او أي شكل من اشكال الثقافات المدنية.

ان تشوهات المدينة والمجتمع والمواطن امتدت الى خارج ماهو ظاهر في العمران المديني والسياسي والاقتصادي والثقافي الى سلسلة طويلة من الحرمانات النفسية والخدماتية والبرامجية، والتي خلقت شعورا عميقا بالاغتراب ورفض السلطة وكراهيتها، فضلا عن نشوء معارضات سرية في الداخل والخارج وهو ما مهد لانتاج مظاهر سياسية وامنية اصطنعت لها المزيد من الازمات مع العالم والمنطقة، تلك التي مهدت لانتاج عوامل ومبررات لاستقدام الاحتلال الخارجي، والذي جعلت منه القوى القديمة المركز الظاهر لاصطناع صراعتها ومواقفها العنفية ليس كراهية به، وانما لانها تريد استعادة دورها القديم..

بعد اكثر من خمس سنوات على المحنة العراقية، محنة الدولة، ومحنة انهيار الدولة، محنة الاحتلال، ومحنة الحرية، محنة الوجود والغياب، محنة انهيار قوى الاحتلال الداخلي، كيف لنا ان نمارس لعبة انتاج الاسئلة، تلك الاسئلة التي تقودنا الى المزيد من الرعب والمزيد من المحن..؟ اذ اننا اكتشفنا وبعد اربعين عاما من شكل الدولة، غياب الدولة ذاتها، وهشاشة البنية العميقة لهذه الدولة التي لم تنتج لنا سوى دولة للرعب، ودولة للاستعراض، ودولة مرشحة للحروب العشوائية دائما، ودولة تؤله الماضي/ المتحف/ المقدس، مثلما انتجت لنا بنيات اجتماعية وسياسية هشة وغير قادرة على ان تعيد انتاج نفسها، وكأن هزائمها من الرعب الامني قد افقدها القدرة على تكوين أي شكل من اشكال المعارضة التي يمكن ان تكون بديلا عن الاحتلال ذاته.

الغريب في الامر ان قوى اليسار العراقي كانت اكثر استسلاما لهذا التوصيف، واكثر وقوعا في فخ ما يسمى بـ(عالمية الثورة) وشروطها الايديولوجية، تلك التي خضعت الى نوع من التجاذبات والصراعات، مثلما خضعت بشكل او بآخر الى اشكال من التحالفات القهرية مع مايسمى قوى غريبة في الانثريولوجيا الوطنية العراقية ادخلت قسرا تحت توصيف سمي في الاجندة الثقافية التقليدية بـ(البرجوازية الثورية) والتي مثلتها احزاب لها موروثات هائلة من القمع والعصاب مع شيء من (الثورية الغائمة)، اذ انتجت هذه التحالفات اشكالا معقدة وحذرة للنظام الاجتماعي، كانت قوى اليسار تلك اول ضحاياها، حيث خسرت وجدوها في المشهد السياسي مع فقدان الكثير من قواعدها الشعبية، فضلا عن تشويه تاريخها النضالي الانساني وحضورها كقوة نقدية ضاغطة على شكل الدولة القديمة..

ان مراجعة مفهوم الدولة عند منعطفات الواقع العراقي الجديد ومحنته، تحتاج الى قوة استثنائية ليس لإعادة انتاج هذا المفهوم في بيئات تبدو مرتبكة ومشوشة وخاضعة لتجاذبات قوى سياسية واثنية تنتمي في الكثير من صراعاتها الى مرحلة ما قبل الدولة، وانما لصناعة الكثير من السياقات العملياتية، والبرامج التي من شأنها ان تسهم في تعزيز وعي الناس باهمية الدولة، الدولة العادلة، الدولة التي تخلو من أي مركز للرعب ان كان عسكريا او امنيا او ايديولوجيا، لان هذا المركز بتعدد اتجاهاته كان هو المسؤول عن اكثر اشكال الخراب الذي عاشه العراقيون في مرحلة ما بعد ثورة ١٩٥٨ ولحد الآن.

❖ كاتب من العراق

> لعل اول انتهاك حقيقي للمواطن والمجتمع والمدينة نشأ مع نشوء ظاهرة الانقلابات العسكرية التي لم تؤسس على حاجات وعي الثورات الانسانية، بقدر ما كانت تعبيراً عن هوس بالسلطة والسيطرة. اذ اسهمت هذه الانقلابات في تفكيك نسق العلاقات الاجتماعية داخل المكان، البيت، المقهى، العائلة، الحزب، المعسكر، صنعت حروبا داخلية (التصفيات الايديولوجية، المجازر، الاغتيالات، تدمير التراكم الاجتماعي في شكل الدولة واطرها الادارية والقانونية مقابل ايجاد قوانين ودساتير طارئة)

واشنطن تراهن على عبدالله عبدالله رئيساً جديداً لأفغانستان

د. عبدالله المدني ❖

من بعد أن كان شاغل الدنيا ووسائل الإعلام بعيد سقوط نظام طالبان الأرعن في ديسمبر /كانون الاول ٢٠٠١، باعتباره رمزا من رموز تحالف الشمال المعادي للطالبانيين، ووجها أفغانيا معتدلا، وصاحب قدرات لغوية إنجليزية للتفاهم مع الميديا العالمية، غاب الدكتور عبدالله عبدالله وزير خارجية أفغانستان السابق فجأة عن المشهد، ليعود اليوم مجددا لكن كمترشح باسم الجبهة الوطنية المتحدة في الانتخابات الرئاسية الأفغانية المقرر إجراؤها يوم ٢٠ أغسطس/ آب الجاري، وكأحد أقوى المنافسين لصديقه رئيس البلاد الحالي حامد كرزاي الذي يأمل في الفوز بفترة رئاسية ثانية بالرغم من الانقسامات الموجودة داخل حزبه (حزب جانبيش ميللي) الذي يعتبر واحدا من مئة حزب مرخص يمثل الاثنيات والثقافات والمصالح المختلفة، لكن دون أن تكون لها أيديولوجيات متميزة.

وكان أحد أسباب غياب عبدالله عن المشهد حتى وقت قريب هو شعور كرزاي بالطموحات القوية لوزير خارجيته (الذي كان هو شخصيا وراء الإتيان به، بل وراء ترشيحه في مؤتمر بون للقوى الأفغانية في ديسمبر/كانون الاول ٢٠٠١ لتولي قيادة أفغانستان في الفترة الانتقالية)، فأقصاه من منصبه في عام ٢٠٠٦ حينما كان في زيارة رسمية لواشنطن بدعوة من نظيرته الأمريكية "كونداليزا رايس"، الأمر الذي أغضب واشنطن. وقتها بدا أن حياة عبدالله السياسية قد انتهت، لكن الأمريكيين قرروا أن يعيدوا الرجل إلى الواجهة في عام ٢٠٠٨ عبر إشراكه في ورش العمل والمناظرات الأكاديمية الأمريكية الخاصة بأفغانستان، ربما استعدادا لدفعه لمنافسة كرزاي في انتخابات ٢٠٠٩.

وهذه الانتخابات التي تعتبر ثاني انتخابات ديمقراطية حرة تجرى في أفغانستان ما بعد طالبان، من بعد انتخابات عام ٢٠٠٤ التي فاز بها كرزاي، سوف يشارك فيها نحو ١٥,٦ مليون مقترع سجلوا أسماءهم، بينهم نسبة لا تقل عن ٣٥ بالمئة من الإناث. علاوة على ذلك فان هذه الانتخابات شاب موعد إجرائها الكثير من الجدل واللغط وتبادل الاتهامات بسبب اقتراح اللجنة المستقلة للانتخابات إجرائها بالتزامن مع الانتخابات التشريعية لعام ٢٠١٠ توفيرا للنفقات العامة، وقيام البعض من معارضي كرزاي باتهام الأخير بأنه هو الذي يقف خلف ذلك الاقتراح من اجل تمديد فترة ولايته لعام آخر. وحينما طالب كرازاي لجنة الانتخابات بعقدها طبقا لمواد الدستور أي خلال ٦٠ يوما من انتهاء ولايته في يوليو/تموز ٢٠٠٩، كان تعليق المعارضين هو أن الرئيس يحاول بهذا عقد الانتخابات في أغسطس/آب ٢٠٠٩ وبالتالي توظيف عامل الزمن في النيل من منافسيه الذين لم يكونوا جاهزين بعد لإطلاق حملاتهم.

ويقول مراقبون كثر أن هذه الانتخابات الرئاسية سوف تكون شرسة، ليس فقط بسبب كثرة المترشحين فيها (٤٤ مترشحا بينهم امرأتان) وتباين خلفياتهم وبرامجهم، وإنما أيضا بسبب إصرار الجميع على الذهاب إلى آخر المطاف، أي دون احتمالات التراجع أو الانسحاب، أو الخوف من انتقام الطالبانيين الذين هددوا بإفساد وتخريب العرس الانتخابي ووصفوه بالبرنامج الصليبي الخبيث الهادف إلى محو إيمان الأفغان وتغريبهم!

ويقال أن هناك عاملاً آخر يتمثل في أن واشنطن باتت تفضل الإتيان بشخصية أخرى غير حامد كرزاي الذي بات يشكل إحراجا لها بعدما تلوث نظامه بقصص الفساد (كان آخرها مصادرة القوات البريطانية العاملة في أفغانستان أطنان من الأفيون في مجمع سكني مملوك للأخ غير الشقيق للرئيس) والمركزية الشديدة وعدم التواجد فعليا على كامل التراب الأفغاني، ناهيك عن لا واقعيته في تناول الأمور، وإصرار كرزاي على اختيار نائبين له أحدهما موال لإيران والآخر موال للروس. و لهذه الأسباب مجتمعة، تبدو واشنطن مستعدة للتضحية بكرزاي و المراهنة على إحدى شخصيتين: الأولى والأكثر قربا لها هي الدكتور عبدالله عبدالله الشخصية الكاريزمية النظيفة المولودة في كابول في الخامس من سبتمبر/أيلول ١٩٦٠ من أم طاجيكية وأب بشتوني هو "غلام محيي الدين خان" الموظف الذي حظي دائما في مسقط رأسه في قندهار بالتقدير والاحترام لعمله الطويل في السلك الحكومي كموظف مجتهد في دائرة المسح الطبوغرافي.

إلى ذلك فان عبدالله عبدالله هو سليل عائلة خدم العديد من أفرادها في البلاط الملكي، و كان طالبا نجيبا تمكن من اجتياز كل مراحل دراسته بتفوق إلى أن حصل على شهادة الماجستير في طب العيون من جامعة كابول في عام ١٩٨٣، فضلا عن أنه تربى في بيئة علم وأدب وشعر، فدرس الصوفيية والحضارة الفارسية وحفظ أشعار حافظ وسعدي و ابن الرومي. أما الشخصية الثانية فهي أشرف غني وزير المالية والمسؤول السابق في البنك الدولي وأحد رموز الأرستقراطية الأفغانية الغابرة والمنحدر من قبيلة "احمد زاي" التي تعتبر أهم وأقوى القبائل البشتونية (جده لعب دورا بارزا في الإتيان بالملك نادر شاه والد الملك الراحل محمد ظاهر شاه إلى السلطة في أوائل القرن العشرين، وشقيقه يتزعم اليوم مجلس قبيلة "احمد زاي" التي تضم نحو ربع سكان أفغانستان).

إلى جانب عبدالله عبدالله وأشرف غني وحامد كرزاي الذي سيدخل الانتخابات محتفظا بنائبه الثاني كريم خليلي المنحدر من إقليم "الهزارة" الشيعي، لكن مع تغيير نائبه الأول "أحمد ضياء مسعود" لصالح أحد لوردات الحرب الطاجيك المتهمين بجرائم خرق حقوق الإنسان أثناء الحرب الأهلية الأفغانية وهو محمد قاسم فهيم، نجد في قائمة المترشحين للرئاسة والذين وافقت اللجنة المستقلة للانتخابات على أسمائهم شخصيات من أمثال: رمضان بشار دوست الذي طرح اسم البروفسور في كلية الزراعة "محمد موسى برك زاي" نائباً أول له، واسم السيدة "عفيفة معروف" الناشطة الحقوقية المستقلة نائباً ثانياً له، وعبدالجبار سبت المدعي العام السابق، و سروار احمدي زاي المرشح المستقل والمفكر البارز الحاصل على شهادتي ماجستير من الولايات المتحدة في القانون والعلاقات الدولية والذي عرفه الأمريكيون من خلال تطوعه للعمل ضمن حملة الرئيس باراك اوباما الانتخابية كممثل للأفغان الأمريكيين، وشاه نواز تاني وزير الدفاع السابق، والزعيم الأوزبكي "أكبر باي"، وهدايت أرسلان الخبير الاقتصادي والوزير الحالي في حكومة كرزاي.، ومحمد هاشم توفيقي الخبير الأفغاني الذي خدم في ولايات وحكومات أفغانية مختلفة و أقام في الغرب طويلا لكن دون أن يتخلى عن هويته الأفغانية، وذبيح الله غازي نورستاني زعيم حزب العدالة والتنمية الذي ناضل طويلا في الثمانينيات من اجل إيصال صوت الأفغان إلى رموز الكونغرس و الإدارة في الولايات المتحدة وإقناعها بالوقوف معهم ضد الغزاة السوفييت، ومير واعظ ياسيني (٤٧ عاما) المتحدث الأول باسم مجلس الشعب الأفغاني وابن الأكاديمي الإسلامي المرموق عبدالستار ياسيني، وشهلا عطا النائبة في مجلس الشعب وأرملة أحد شهداء الحرب الاهلية والمتحمسة للعمل من أجل استرداد حقوق المرأة الأفغانية وفق السياسات والبرامج المتحررة التي وضعها أول رؤساء أفغانستان "الجنرال محمد داوود خان" ما بين عامي ١٩٧٣ و١٩٧٨.

لكن ماذا تقول استطلاعات الرأي التي أجريت في هذا الخصوص خلال الأشهر القريبة السابقة؟

في استطلاع للرأي أجري في أوائل مايو/ آيار ٢٠٠٩ من قبل إحدى الجمعيات الممولة من الحكومة الأمريكية، تبين أن الرئيس الحالي في مقدمة المرشحين للفوز بنسبة تصل إلى ٣١ بالمئة، يليه الدكتور عبدالله عبدالله بنسبة ٧ بالمئة. غير أن هذه الأرقام سرعان ما تغيرت في منتصف يوليو/تموز المنصرم حينما حصل كرزاي على ٣٦ بالمئة، وحصل عبدالله عبدالله على نسبة ٢٠ بالمئة، و رمضان بشار دوست على نسبة ٧ بالمئة وأشرف غني على ٣ بالمئة ممن أدلوا بآرائهم، علما بأن نسبة من لم يقرروا أو رفضوا الإجابة كانت في حدود ٢٠ بالمئة.

وبطبيعة الحال فإن البيانات والأرقام السابقة تفيد بأن التنافس سوف ينحصر تحديدا ما بين حامد كرزاي وعبدالله عبدالله، مع حصد رمضان بشار دوست وأشرف غني نسبة قليلة من الأصوات. ويعتقد الكثيرون في هذا السياق أن الانتخابات لن تحسم من الجولة الأولى، بمعنى أن كرزاي لن يتمكن من الحصول على نسبة الخمسين بالمئة من أصوات المقترعين اللازمة للفوز من الجولة الأولى، وبالتالي سيخوض جولة ثانية من المنافسة مع الشخصية التي تليه من حيث عدد الأصوات، والتي تجمع التقارير أنها ستكون للدكتور عبدالله عبدالله لأسباب كثيرة منها أنه يحظى بدعم مالي وإعلامي من الأمريكيين، ومنها أن بامكانه أن يحصد أصوات المقترعين في المقاطعات الشمالية كنتيجة لعلاقاته السابقة بأسد "بانجشير" أي بالقائد الراحل أحمد شاه مسعود، ومنها أنه يخوض الانتخابات تحت شعار جذاب هو الأمل والتغيير معطوفا على برنامج يقول فيه أن بإمكانه أن يوظف خبراته الجهادية والدبلوماسية وعلاقاته الدولية في تغيير الكثير من الأشياء الجامدة من حوله. وهذا ربما كان صادقا فيه، لأن كل من عمل معه أو عرفه عن كثب أشاد بمناقبه ومهاراته كقائد ودبلوماسي محنك. وفي محاولة منه لجذب المزيد من الأصوات على حساب المترشح القوي الآخر أشرف غني، أعلن الرجل مؤخرا أنه إذا ما فاز في الانتخابات فسوف يعين الأخير رئيساً للحكومة، وهو الشيء نفسه الذي أعلنه كرزاي و للأسباب ذاتها، غير أن أشرف غني استخف بالأمر علنا ورفضه!

المرأتان الافغانيتان المترشحتان فليس لهما حظوظ بالفوز، وان كان مجرد موافقة اللجنة المستقلة للانتخابات على دخولهما السباق يعد تغييرا ذا معنى ودلالة في بلد كان حتى الأمس القريب يجلد ويرجم ويعذب نساءه لأتفه الأسباب ويحجزهن في المنازل ويمنعهن من العمل والدراسة والتنقل.

❖ كاتب من البحرين

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

Opinions112@ yahoo.com